التوظيف السياقي للقرائن اللفظية (سورة العلق أنموذجًا)

م. د. محمد عبد علي علوان الجبوري
مديرية تربية بغداد / الكرخ الثانية

م.م. إسراء عبد علي حطاب
مديرية تربية بغداد / الكرخ الثانية

التوظيف السياقي للقرائن اللفظية (سورة العلق أنموذجًا)

م. د. محمد عبد علي علوان الجبوري
م.م. إسراء عبد علي حطاب

تاريخ الاستلام : ٢٩/ ٨/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول : ٤/ ١٠/ ٢٠٢٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

عني البحث بتوظيف بعض القرائن اللفظية (الصوتية ، والصرفية ، والنحوية) للوصول إلى قصدية الخطاب القرآني ، ومن هنا تتواشج هذه النظم في تحديد ماهية السياق اللغوي وهذا ما تتمركز عليه فكرة بحثنا لتكشف آلية العلاقة الجدلية الناجمة من تفاعل هذه النظم.

الكلمات المفتاحية: المعنى الوظيفي ، السياق ، القرائن الصرفية ، تفاعل النظم

The Contextual Employment of Verbal Clues (Surat Al-Alaq as a Model)

Dr. Muhammed Abed Ali Alwan Al-Juboori
Baghdad Education Directorate / Al-Karkh (Second)
muhammed@gmail.com
Asst. Lect. Israa Abed Ali Hattab
Baghdad Education Directorate / Al-Karkh (Second)
israa@gmail.com

Abstract

The research is concerned with employing the verbal clues (phonemic, morphological, and grammatical) to reach the intentionality of the Qur'anic discourse, and consequently , these systems collide in determining what the

linguistic context is, and this is what the idea of the current research is centered on to reveal the mechanism of the dialectical relationship resulting from the interaction of these systems.

Key words : **Functional meaning, context, morphological clues, interactional system**

المقدمة

لما كان القرآن محور عقيدة الأمة، ومصدر حضارتها ومستودع تشريعها كان حقًا على الباحثين والمتخصصين أن يكرّسوا اهتماماتهم العلمية لدراسة محتوى القرآن وفهمه واستنباطه، إذ نسعى في هذه الدراسة الى توظيف آليات لغوية نصية مجدية لفهم الخطاب القرآني ، والمتمثلة بـ (القرائن اللفظية) ، ومعرفة مدى الإفادة من هذه القرائن في الدرس اللغوي ؛ لكونها مفتاحاً لفهم بنية التركيب (السياق) ووظيفته النحوية، فالنحو والصرف والصوت علوم متداخلة لا يمكن تجزئتها، فأحدها مكمل للأخر.

إذ إن التركيب اللغوي يتألف من أربعة مستويات:

الأول: المستوى الصوتي: ويعنى بمخارج الحروف وأصواتها ومقاطعها والظواهر التي ترافقها فالفعل (ضَرَبَ) يتألف من ثلاثة مقاطع صوتية:

ضَ	رَ	بَ
ص+ح	ص+ح	ص+ح

الثاني: المستوى الصرفي: ويعنى ببنية المفردة وشكلها والقالب الذي تبنى فيه وتهيئتها للمستوى النحوي كتحويل الفعل الى اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم آلة.....الخ

] ضاربٌ – مضروبٌ – مضربٌ[

إذ أن لكل صيغة دلالة مختلفة– احياناً– و ((كما أنهم قالوا: "زيادة المباني دليل على زيادة المعاني" نرى أن "اختلاف المباني دليل على اختلاف المعاني ((" (السامرائي ، ١٩٨١، ٥٨.)

(Al–Samara'y, 1981:58)

الثالث: المستوى المعجمي: هو معنى الكلمة المفردة الذي ينشأ بعد توليف في المستوى الصرفي فالفعل (ضرب) يدل على حدث الضرب الذي وقع في زمن ماضٍ.

الرابع: المستوى النحوي: ويمثل العلاقات التركيبية بين المفردات عند تأليف الجملة مثل علاقة المسند بالمسند إليه، والتبعية ... الخ.

وهذا التواشج بين المستويات الأربعة يتمخض عنه المعنى الدلالي.

وعلى الرغم من وجود هذه المستويات، إلا أن النظرة الى اللغة العربية بوصفها تمثل تراكيب لغوية اتسمت بطريقتين: إحداهما تنظر من الكل الى الجزء، والثانية من الجزء الى الكل. فلو تمعنا في كلام ابن مالك:

((وتاء التأنيث تلى الماضي، إذا كان لأنثى، كـ(أبت هند الأذى)

إذا اسند الفعل الماضي الى مؤنث لحقته تاء ساكنة تدل على كون الفاعل مؤنثًا، ولا فرق في ذلك بين الحقيقي والمجازي، نحو "قامت هند، وطلعت الشمس"، لكن لها حالتان: حالة لزوم، وحالة جواز)) (بن عقيل، د. ت: ٤٧٥) (Bin Aqeel, N. D. : ٤٧٥)). ثمة مفهومان يقوم عليه هذا الكلام هما: المفهوم الصرفي، والمفهوم النحوي، فنلحظ أن التأنيث يندرج تحت مفهوم (المعنى)، أما وجود التاء على إطلاقها فتدل على (المبنى)، والتاء في(أبت) تشير الى العلامة وهي مفهوم صرفي كما في الشكل الاتي (حسان، د. ت. ١٩٧) (Hassan, N. D. : 197)) :

المعنى	المبنى	العلامة
التأنيث	التاء على إطلاقها	التاء في (أبت)

ومن ثم ترى العلاقة التركيبية في مطابقة التأنيث بين الفعل والفاعل من ناحية ((المعنى)) والتاء على إطلاقها من ناحية (المبنى)، والتاء التأنيث الساكنة في (أبت) هي علامة نحوية:

نخلص الى أن التأنيث هو (معنى) وان المؤنث هو(مبنى) له، قد يعبر عنه بمفردة مختومة بتاء التأنيث أو مختومة بألف مقصورة أو ممدودة، أما الأنثى فلا علاقة لها بذلك كله،

لان الأنوثة ضد الذكورة هذا في الطبيعة، أما التأنيث فهو ضد التذكير في اللغة. (حسان، ٢٠٠٠: ٨) (Hassan, 2000:8)

لذا نرى أن اغلب العلماء خالطوا بين النحو والصرف وهذا ما نلحظه عند القدماء، فيحاولون إيجاد الحلول لإشكاليات بنية الكلمة(الصرف) والمعنى الوظيفي (النحو) بصورة مستقلة لكل منهما ((ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف)) (حسان، ٢٠٠٠: ٨) (. Hassan, 2000:8)

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن الصرف والنحو والصوت أنظمة ممتزجة داخل التركيب في الجملة لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الأخر.

وإذا عدنا الى موضوع بحثنا وهو ((التوظيف السياقي للقرائن اللفظية)) نجد أن هذا الموضوع يتضمّن ثلاثة مصطلحات وهي:] المعنى الوظيفي، والسياق، والقرينة[،وإذا تمعنا في المصطلح الأول نجد انه يرتبط ارتباطا وثيقاً بالبنية التي هي ((كل ما أفاد معنى لغوياً)) (حسان، ٢٠٠٠: ٨) (**Hassan**، ٢٠٠٠:٨) إن كان حرفاً من الحروف الزائدة لمعنى، او من حروف المعاني، او اسماء الإشارة، أو الأسماء الموصولة، أو إحدى الأدوات او الصيغ الصرفية، او نمطاً من أنماط الجمل، والمعنى الناتج من هذه المباني هو معنى وظيفي تؤديه هذه المباني في التركيب(حسان، ٢٠٠٠: ٨) (**Hassan**، ٢٠٠٠:٨) ، وأما السياق فهو الذي يعطي للكلمة دلالة أخرى غير دلالتها المعجمية الأساسية في سياق معين دون سياقات أخرى فاللفظة ((توجد في كل مرة تستعمل فيها جوا يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها)) (فندريس، ١٩٥٠: ٢٣١) ((Fandrees, 1950: 231 ، فالسياق ((يشمل ضم الكلمات بعضها الى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى ، وهي مجتمعة في النص)) (وهبة والمهندس، ١٩٧٩:٢٢٨). (Wahba and Al- Muhandis, 1979: 228)

أما القرينة فهي من المصطلحات اللغوية التي يستدل منها على الوظيفة النحوية سواء كانت قرينة لفظية محددة بأحد أنساق الكلام إذ تشمل:] العلاقة الإعرابية، والربط، والأداة، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والتضام، والنغمة[، أم قرينة معنوية وهي تمثل العلاقات الناتجة عن اتحاد

عناصر الكلام داخل التركيب اللغوي من الجملة الواحدة كالعلاقة] الاسنادية، والمعية، والظرفية، والغائية، والتحديدية التوكيدية والتفسيرية، والإخراجية، والمخالفة، والملابسة، والتعدية[.

ولابد من الإشارة الى أن هناك قرينة جامعة مانعة تندرج تحت مصطلح (القرينة المعنوية) لكنها أخص منها وهي قرينة (التخصيص) فهي ((قرينة معنوية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية اخص)).

ومن اتحاد القرائن اللفظية والقرائن المعنوية داخل التركيبي اللغوي تنجم ظاهرة مهمة ألا وهي ظاهرة ((تضافر القرائن)) لإيضاح معنى التركيب الواحد ، وهذا ما يمكن ان يندرج تحت قرينة السياق التي تدل على ((ما يكتنف السياق من قيود تركيبية، أو اشراط إفادة أو هما معاً)) . فإذا أخذنا هذه الجملة: (ضرب زيد بكراً) ،سنجد أن زيداً فاعل بدليل وجود سبع قرائن لفظية، وواحدة منها قرينة معنوية هي (قرينة الإسناد)، ونجد إعرابنا (بكراً) مفعولاً به لوجود أربع قرائن لفظية، وواحدة معنوية هي (التعدية)، ففي (ضرب زيد) تتجلى القرائن اللفظية الآتية] العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة، والتضام والنغمة، والمطابقة[، أما (بكراً) فتتضح لنا القرائن اللفظية الأربع الآتية:] العلامة الإعرابية، الرتبة، والصيغة، والمطابقة[.

هذا ما يتعلق بالنظام النحوي وقرائنه، أما النظام الصرفي فتختلف قرائنه تبعا لماهية علم الصرف الذي تتحدد من خلاله بنية الكلام وأصالته، وما تشتمل عليها من سوابق ولواحق، و إن كان علم الصرف لا ينفصل في دراسته عن النحو، اذ يرى اغلب علماء اللغة ((إن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من اهل الصناعة)) (الاستراباذي، ١٩٧٥: ٦) ,Al–Isterbathy) 1975: 6) .

يعد تقسيم الدكتور تمام حسان ابرز ما جاء في تحديد القرائن الصرفية وتوضيحها، إذ قسمت القرائن الصرفية الى ثلاثة أقسام رئيسة:

١. قرينة البنية.

٢. قرينة الأداة

القرائن العلائقية:

و تضم:

١_ التضام ٢_ الرتبة ٣_ الربط

أ_ قرينة البنية: يندرج تحت هذا العنوان موضوعات علم الصرف العربي بما يشتمل من تفرعات وتفصيلات تخص بنية الكلمة، إذ تتهيكل قرينة البنية على سبعة مرتكزات اساسية هي (حسان، ٢٠٠٤: ٣٩) (. (Hassan, 2004: 39

١. أقسام الكلام.

٢. الجمود والاشتقاق.

٣. الجمود والتصريف.

٤. التجريد والزيادة.

٥. الصيغة الصرفية والميزان الصرفي.

٦. اسناد الافعال الى الضمائر.

٧. تقليب الصيغ.

ب_ قرينة الأداة: لا تقل هذه القرينة في أهميتها عما اندرج تحت قرينة البنية، فمنها ما يعد واسطة ترتكز عليها العلاقة الاسنادية بين طرفيها، او بين الجمل وجوابها، ومنها ما يدخل على الكلمات في داخل الجملة فيربط بين عناصرها. هذا ما يتعلق بالأدوات أولات المعاني، وأرجح تقسيم الدكتور تمام حسان للأدوات الداخلة على الجمل بحسب معانيها، إذ وردت كالاتي:

١_ التوكيد ٩_ الأمر

٢_ الإيجاب ١٠_ النهي

٣_ النفي ١١_ النداء

٤_ الاستفهام ١٢_ القسم

٥_ الشرط

٦_ التحضيض

٧_ التمني

١٣_ التعجب

١٤_ الترجي

١٥_ الاستغاثة

أما حروف المعاني فتشمل على:

١_ المصدرية

٢_ العطف

٣_ الاستثناء

٤_ الاستفتاح

٥_ الشرط

٦_ حروف ينصب المضارع في حيزها

٧_ حروف يجزم المضارع في حيزها

٨_ الاستدراك

٩_ الاضراب

١٠_ الملابسة

١١_ المعية

١٢_ حروف يجر الاسم في حيزها

١٣_ حروف تزاد في الكلام للتأكيد

١٤_ التشبيه

١٥_ التعليل

١٦_ الظرفية

١٧_ التعدية

١٨_ التفسير

ج/ القرائن العلائقية: وهي تشمل

١. قرينة التضام.

٢. قرينة الرتبة.

٣. قرينة الربط.

١_ قرينة التضام: تتألف الجملة من مفردات تحكمها ضوابط لا عن طريق المصادفة، اذ تقوم على نظامين لا يمكن لاحدهما الاستغناء عن الاخر، هما:

النظام الأول: المناسبة النحوية: ونعني بها ما تشتمل عليه الجملة من قواعد النحو العربي واصوله اللغوية، وتقوم على مرتكزين هما الافتقار والاستغناء من جهة، والتخصيص من جهة اخرى.ونقصد بالافتقار هو ((ان لفظاً ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه في الكلام غالباً وانما يتطلب في حيزه لفظاً اخر لا غنى له عنه)) ، والاستغناء هو عكس الافتقار كما وصفه النحاة.

اما الاختصاص فهو دخول الحرف على مدخوله بعينه، فعلى سبيل المثال (إنّ) هي حرف مشبه بالفعل معناه يفيد (التوكيد)، يمكن الوصول الى هذا المعنى بسبل اخرى كالتوكيد المعنوي او التوكيد اللفظي، او بـ لام التوكيد، أو بنوني التوكيد الثقيلة و الخفيفة... الخ.، لكن (إنّ) يختص دخولها على الاسم المبتدأ. وهكذا بقية أنماط التوكيد يلزم ان تتوفر فيها الاحكام النحوية التي تختص بها التوابع لتحقق وظيفتها داخل التركيب اللغوي، فنرى مثلاً قول الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخاً له كساع الى الهيجا بغير سلاح

إن لفظة (أخاك) الثانية جاءت توكيداً لفظياً للأولى وهو ما يحقق لنا غاية التوكيد، وكقوله تعالى ((وان جهنم لموعدهم أجمعين)) ، فلفظة (أجمعين) جاءت مؤكدة توكيداً معنوياً للضمير (هم)،وقد حققت غاية (التوكيد)، وكذا الحال مع بقية الادوات ، وحروف المعاني التي تختص بمدخول محدد لا يمكن أن تأتي مع سواه.

النظام الثاني: المناسبة المعجمية: إذ لا يتحقق لنا مفهوم الجملة بالارتكاز على النظام الأول فحسب بل لابد من تحقيق ترابط المعنى المعجمي داخل الجملة ، اذ((لا يمكن تشخيص "القواعدية" بأنه كل ما "له معنى" أو كل ما "هو ذو مغزى" وفق اي مفهوم دلالي)) (جومسكي، ١٩٨٧: ١٩) (Chomsky, 1987: 19)،فمثلاً لو نظرنا الى هذه الجملة التي وقف عندها (جومسكي):
((الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة))، لنجدها صائبة من حيث خضوعها لأصول اللغة ((التركيب)) إلا أنها غير منطقية وغير معقولة من حيث المعنى والدلالة، وهذا ما يندرج تحت ما يمكن أن نسميه بالتنافر المعجمي.

وبهذا الاقتران والتمازج بين النظامين يتحقق لنا المفهوم العام للجملة تقعيداً ومعنى من خلال قرينة التضام.

٢_ قرينة الرتبة: تتجلى ضرورة هذه القرينة بذلك التراتب النحوي بين عناصر الجملة فهي اما ان تكون رتبة محفوظة لفظاً وحكماً مع أمن اللبس كما في أدوات الشرط والتوابع والاستفهام

على سبيل المثال لا الحصر، كما في قوله عز وجل: ((الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ((،فهمزة الاستفهام هي من الحروف التي لها الصدارة في الكلام فلا يمكن ان يسبقها المستفهم منه، أو تكون رتبة غير محفوظة وهي تراعي هذا التراتب حكماً لا لفظاً بين عناصر الجملة مع أمن اللبس، وهذا ما شغل البلاغيين فتمخضت عنه ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، كما في قوله تعالى:((إياك نعبد)) ،إذ تقدم المفعول به وهو الضمير المنفصل (إياك) لغاية بلاغية هي التخصيص والتوكيد والحصر، إذ أن ((اهم غرض من اغراض تقديم الظرف هو الاختصاص والحصر)).

٣_ قرينة الربط: ليست هذه القرينة اقل شاناً وأهمية من سابقتيها] قرينة التضام وقرينة الرتبة[،لأنها تشترك مع القرينتين السابقتين في تحقيق ما يسمى بظاهرة (السبك) داخل التراكيب التي من شأنها جعله مقبولاً ومأمون اللبس من الناحية النحوية، وتتجلى لنا هذه القرينة من سبيلين مختلفين:

١. المطابقة والأداة.

٢. الإحالة.

أ_ المطابقة والأداة: تتمحور فكرة المطابقة حول ذلك التماثل في الصيغ الصرفية والضمائر من حيث (العلامة الإعرابية)، و (التعريف والتنكير)، و (التأنيث والتذكير) و (الأفراد والتثنية والجمع) ، ومن حيث (ضمير المتكلم والخطاب والغائب).

اما الأداة: فقد نوهنا إليها آنفاً وأشرنا الى معانيها ومواقعها في الرتبة المحفوظة، فالأدوات دلالتها لا تتحقق الا بين عنصرين أو أكثر من عناصر السياق، فهي تدخل على الجملة وتؤدي الى ذلك الترابط بين عناصرها في سبل مختلفة منها الشرط و الاستفهام والتأكيد ... الخ، فلا يمكن حذفها أو الاستغناء عنها في إعطائها المعنى، فلو قلنا: (إن نجح زيد فرح علي) وحذفنا أداة الشرط (إن) لتحول معنى الشرط الى إخبار وأصبحت لدينا جملتان خبريتان لا يربطهما رابط، وبهذا ندرك اهمية هذه الادوات الداخلة على الجملة.

ب_ الاحالة: وهذه الظاهرة تمثل جانباً اخر من جوانب قرينة الربط وهي الاتيان والتذكير بعنصر اخر من عناصر الجملة، وهذا ما نلحظه بتكرار اللفظ وإحالته الى ذكره الذي سبق ،كقوله تعالى:((أهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين))

،فجاء تكرار كلمتي] الصراط، وعليهم[، أما الصراط الثانية فقد جاءت بدلاً عن الصراط الأولى لغرض التوضيح والتفسير، في حين ان الفرق بين (عليهم) الاولى والثانية دلالياً يتشخص من خلال النظر الى ما تعلقت به، فالأولى (انعمت عليهم) المقصود بهم هم المنعم عليهم، اما الثانية فهم المغضوب عليهم. وتتمخض عن هذه الظاهرة أساليب عدة وردت في القرآن الكريم.

ولا تقتصر قرينة الربط على المفردات داخل الجملة او التركيب بل تتعداها الى الربط بين الجمل كعلاقة التفسير والإضراب والاستدراك والسببية على سبيل المثال لا الحصر، فالسببية كقوله تعالى: ((فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)) ، العلاقة السببية اتضحت من خلال الربط بين الجملتين بفاء السببية، فكانت الأولى سبباً اشترط لتحقيق الثانية وهي (التوبة).

((القرائن اللفظية في سورة العلق وتوظيفها السياقي في التحليل النصي))

إن معرفة القرائن في السياق تسهم إسهاما فاعلاً في التحليل النصي، لذا فان تخصيصنا سورة ما جاء ليكشف عن مدى صلاحية هذه القرائن وكيفية توظيفها في التحليل.

مطلع السورة المباركة

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق : ١])، يبتدئ بفعل الأمر (إقرأ) اي: اقرأ القران، وهي صيغة جاءت على وزن (إفعل) مزيداً بالهمزة فـ((موضع زيادة الهمزة أن تقع أولاً وبعدها ثلاثة احرف اصول)) (بن جني، ٢٠٠١: ٥٠) ((Bin Jinny, 2001: 50، إلا أن الملاحظ أن الفعل هنا فعل يحتاج الى انجاز، والدليل على ذلك اجترار قصة نزول الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وطلب القراءة منه، والفعل الانجازي له وظيفة تداولية قصدية الغاية منها انجاز الفعل، ولو توسعنا قليلاً فان عملية الانجاز لا تستلزم الفعل فقط، وإنما يتوسع مفهوم الفعل (البنية) هنا ليعطي وظيفة تحمّل أعباء الرسالة السماوية. من هنا جاءت تراكيب الجملة لتفتح لنا افق هذا المعنى، فالرسالة تتضمن قطبين أساسيين هما: المرُسِل (الله) ، والمرُسَل إليه (الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم))، لذا جاء الفاعل مستتراً؛ لان المخاطب مقصود ومبيّن.

اما (باسم ربك) فقد جاء مقروناً بالباء وهو حرف من حروف المعاني التي لها دلالة واسعة داخل الجملة العربية، فمجال الفعل لا يتطلب في اغلب الاحايين مفعولاً مباشراً، وانما يكون موقع

المفعول (المبنى) مقترناً بوظيفة شكلية تختلف عن المفعول به، وقد جاء في التفسير الكبير ان "باسم ربك" لها وجوه عدة في التأويل منها :

الوجه الاول :

ان الباء زائدة، ويكون معناه (إقرأ اسم ربك)، اي اذكر اسمه، وهذا القول ضعيف لا سباب اولها: فلو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن من الرسول الاكرم ان يقول ما انا بقارئ، اي لا اذكر اسم ربي، وثانيهما: ان هذا الامر لا يليق برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)؛ لان ذكر الله هو شغله الشاغل، فكيف بأمر الله تعالى بأن يشتغل بالذي كان مشغولاً به ابداً، اما ثالثهما: فان فيه تضييع لحرف الباء وجعلها من دون فائدة.

الوجه الثاني :

معناه (اقرأ القرآن)، وبهذا يحتمل (باسم ربك) وجوهاً عدة، منها :

ان يكون محل (باسم ربك) النصب على الحال، والتقدير: (اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل بسم الله ثم اقرأ)، وهذا خير دليل على وجوب قراءة البسملة مع كل سورة من سور القرآن الكريم. أو ان يكون المعنى (اقرأ القران مستعيناً باسم ربك) متخذاً إياه آلة في استحصال امرك في الدنيا والاخرة. وايضاً في (باسم ربك) دلالة على جعل هذا الفعل خالصاً لله تعالى ولأجله قم به (الرازي، ١٣١١: ١٣-٣٢) (Al-Razy، ١٣١١: ١٣-٣٢)

(البيضاوي، ١٩٩٠: ٤٣٣) (. Al-Bidhawi, 1990: 433)

وبهذا فان الوجه الثاني يكون اكثر وضوحاً في تحديد الاسباب والعلل المتعلقة بوجود (الباء) المزيدة في (باسم ربك)، بذلك ارجح هذا الوجه؛ لاستيفائه حقيقة دلالة الباء المزيدة وموقعها الاعرابي من حيث نصب الجملة على الحالية.

وفي الآية المباركة إشارة لطيفة ومهمة في تقديم الفعل (اقرأ) على الفعل (خلق)، إلا أن الثاني في حقيقة الامر مقدم على الفعل الاول، إذ أن سلوكيات الانسان وافعاله مرتبطة اولاً بوجوده وتكوينه، اي (خلقه)، فاذا تتبعنا هذه الآيات وما تلاها (خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم،]العلق٢-٤[) نجد ان معناها لاينأى عن كونه ينحصر بين اول احوال خلق الانسان وهو علقة وهي اخس الاشياء واحقرها، واخر امره هو علمه بحقائق الامور، وهذا

اشرف مراتب المخلوقات (القرطبي، ٢٠٠٦: ٣٧٧) ((Al-Qurtubi, 2006: 377 ، وهذا التحول والتطور المرحلي في العلم بالأشياء يتطلب مدبراً ومقدراً ألا وهو الله تعالى عز وعلا الذي يتكفل بنقل الانسان من هذه الحالة المهينة الخسيسة الى المرتبة الشريفة وهي العلم الذي هو اشرف الصفات الانسانية .

القرائن اللفظية

وإذا عدنا الى الآية الكريمة (خلق الانسان من علق] العلق:٢)، يتجلى تكرار الفعل (خلق) وهذه قرينة لفظية حددها السياق من خلال إحالة الآية الثانية الى الآية الاولى لغرض التفسير والتوضيح والبيان، لذا فان الربط بين الآيتين ينتج عنه فائدة دلالية فيها ((تخصيص للإنسان بالذكر من بين جملة المخلوقات، اما لان التنزيل اليه، او لأنه اشرف ما على وجه الارض)) . ثم تقابلها الآية الثالثة (اقرأ وربك الأكرم]العلق:٣[)، والتي تتضمن توظيفاً سياقياً للتركيب الداخلي في الآيات المحكمات، وهو تكرار الفعل (اقرأ) الذي شكل مع سابقه الفعل الاول (اقرأ) اطاراً لعملية الخلق التي تمثل بدايات تكوين الانسان، ثم انتهت بنعمة العلم والتعرف على الحقائق، وما تكرار هذا الفعل إلا لغايات ربانية إلهية تتضمن الفهم والادراك المؤدي الى عملية التبليغ تبليغ الرسالة السماوية، أما الفعل الأول فهو مطلق بدلالته. ومن هنا فان تكرار الفعلين (اقرأ، و خلق) هو من باب الإحالة للآية الأولى، فقد جاء تفصيلاً للفعلين فيها، وكأنما أوجزنا الآيتين الثانية والثالثة في الآية الأولى، وهذا أسلوب بلاغي يستعمل في جل خطاباتنا فكيف بكلام الله عز وجل؟!

والآية الرابعة (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ [العلق : ٤]) تحمل نسقاً إجماليا للعلم، إذ تأتي الآية الخامسة (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق : ٥])، لتكشف علة العلم، وهو التعرف على المجهول، وهذه فطرة متجلية لدى الإنسان، وجاءت مفردة (القلم) ((الكتابة التي تعرف بها الأمور الغائبة وجعل القلم كناية عن الكتابة)) ، فأشارت الآية الرابعة الى ضرورة توفر الأداة المناسبة للتعلم، فجاء الفعل مقترناً بمبنى يحمل (التضام):

التضام:

وهو على نوعين:

١. تضام الجملة: ويتحقق بعلاقة التراكيب داخل الجملة.

٢. تضام نصي: ويتحقق بترابط نسقي سياقي معنوي يحتمل دلالات ترتبط بالجمل المكونة في النص، كما في الآيات المذكورة انفاً.

نضرب مثالاً على الآية المباركة، لفظة (الإنسان) وهو تضام داخل الجملة، إذ انضمت الأداة (أل) مع (إنسان)، ليعطي هذا التضام معنى التخصيص والتعيين، وهذا ما تؤيده الآيات الكريمة، إذ أن فعل (القراءة، العلم) من مخصوصات الإنسان. والنتيجة والمحصلة التي يخرج بها الإنسان من العلم تنقسم على نوعين:

الأول: علم يهدي الى الحق.

الثاني: علم يوظف للباطل.

ونجد الآية السادسة (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى [العلق : ٦])، قد أشارت الى المعنى الثاني بدليل وجود الأداة (كلا)، وهي ((مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية، قال: وإنما شددت لامها لتقوية المعنى، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين... وهي عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر... حتى إنهم يجيزون أبداً الوقف عليها، والابتداء بما بعدها)) ،فهي (ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه، وان لم يذكر بدلالة الكلام عليه ،إذ تدل على الردع والزجر والنهر بقوة، فالسياق أيد وجود هذه الأداة في هذا الموضع، لأن الإنسان إذا وظّف علمه للباطل سيطغى، والطغيان يؤدي بالإنسان الى الاستغناء عن الله (والعياذ بالله)، وجاءت الآية ذاتها حاملة توكيداً وتخصيصاً لتتلاءم مع مفردة (كلاّ).

وتجيء الآية الثامنة (أن إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى [العلق: ٨])، لتوضح معنى الردع والنهر موظفة أداة التأكيد بوصفها دليلاً للربط والإحالة على تلك الأداة، وهذا الحديث ((واقع على طريقة الالتفات الى الإنسان تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان)) .

- الاستفهامات:

أما الاستفهامات التي وردت في السورة المباركة، فإذا نظرنا الى الآية التاسعة (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى [العلق : ٩]) ، (أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى [العلق : ١١])، (أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى [العلق : ١٣])، (ن أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى [العلق : ١٤]) ، نلحظ أن الاستفهام يخرج عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي وهو استفهام تعجبي انكاري، والدليل على ذلك خروج الاستفهام الى التقرير، لأن نسبة الجواب هنا تفيد الإثبات، وهذا معروف من سياق التراصف النصي للآيات، وكذا تكرار الفعل

معه (أرأيت)فالفعل (رأى) يدل على الرؤية البصرية التي تعتمد على أمر حاصل في الحقيقة، وما دام الفعل بهذا المعنى فان الاستفهام هنا تقريري إثباتي، وهذه الاستفهامات ما هي إلا خطابات موجهة الى رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، وفيها من الاستنكار لموقف الكافر وهو (ابو جهل) وسواه لصده عن عبادة الله تعالى وكفرانه ومعصيته له، ونهيه عن خدمته وطاعته .

وفي قوله تعالى (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ [العلق : ١٥]) ،فتأخذ الآية نسقاً في النهر والزجر الشديدين من خلال ايراد صيغة الجواب (كلّا)، والذي يتباين في معناه عمّا وضحناه في كلام (كلّا) الأولى ففيها من الوعيد والتهديد والتحذير الذي ينذر بسوء عاقبة الامور، حتى قال فيها جماعة من النحويين انه ((متى سمعت كلّا في سورة فاحكم بانها مكية، لان فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة، لان اكثر العتو كان بها)) (الانصاري، ١٣٧٨: ٢٤٩) (Al-Ansari, 1378: 249)، والعلة في ذلك تقديم مجموعة من الأدلة والحجج والبراهين على تمادي الانسان في طغيانه بأساليب شتى ذكرت في الآيات الآنفة الذكر لذا جاءت (كلّا) مؤكدة بأكثر من مؤكد وهي (اللام في لئن، واللام في نسفع، ونونها الخفيفة)، فضلاً عن وجود أداة الجزم (لم) التي تُضم الى الفعل المضارع، فدلالة دخول (لم) على الفعل المضارع أفادت الجزم والقطع لا على مستوى اللفظ فقط وإنما على مستوى المعنى. وهو كما موضح أنفا إنما جاءت في (أبي جهل) فهذه الناصية (شعر جبهة الرأس) كاذبة قولاً خاطئة فعلاً، فهو كاذب خاطئ متمرد على الله تعالى ،اذ هو معاقب مؤاخذ . ووردت صفة (الناصية) مصاحبة للفظتي (الكذب والخطأ)، لان العلم الذي يوظّف للباطل يحمل صفتي الكذب والخطأ معاً، ((ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها، وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ))،

ثم ننتقل الى الآية السابعة عشرة (فَلْيَدْعُ نَادِيَه [العلق : ١٧])، نلاحظ ان النتيجة في رجوع الانسان الى الله ستؤدي به الى أن يدعو ناديه، ((والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم، اي: يجتمعون ، والمراد اهل النادي)) ، وهنا نكتة لطيفة في لفظة (نادي) هو ان اللفظ جاء على صيغة اسم الفاعل في المبنى إلا أن المراد منه اسم المفعول، ((جاء فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق أي ماء مدفوق وعيشة راضية اي مرضية والأولى ان يكونا على النسب كنابل وناشب اذ لا يلزم ان يكون فاعل الذي بمعنى النسب مما لا فعل له كنابل بل يجوز ايضاً كونه مما جاء منه الفعل فيشترك النسب واسم الفاعل في اللفظ)) (النحوي، د. ت: ١٩٩) (Al-Nahwi, N. D. : 199)

، وفي هذا الاستعمال معنى بلاغي مجازي يحمل انزياحاً قل نظيره في دلالة اللفظة إذ لو جاءت بصيغتها المعنوية (اسم المفعول) لكان معنى الآية لا يحمل هذا الانزياح والعدول اللافت للنظر.

تتوالى الآيات المتوعدة لأبي جهل ومن معه، فيقول تعالى (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [العلق : ١٨])، فجاءت لتبين جزاء الإنسان في المستقبل، اذ وردت السين– وهي حرف من حروف المعاني– مصاحبة للفعل المضارع التي أفادت معنى التوكيد اي تأكيد الفعل في المستقبل وهو الوعد والوعيد، وهذا يدل على أن الآية تعمم هذا الفعل في كل زمان ومكان والزبانية ((هم الشرط في كلام العرب وهم الملائكة الغلاظ الشداد، وملائكة النار سموا الزبانية لأنهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم في جهنم)).

اما الآية الاخيرة (كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق : ١٩])ففيها الحكمة والنصيحة التي يتوخاها الباري عز وجل ضد الفعل المشين المهين، والدليل على ذلك ورود أداتين للنهي هما: (كلّا) التي يكون وقعها اقوى واشد من غيرها، والثانية (لا) التي دلت على النهي بدلالة جزم الفعل وقطعه عن الحركة. وأردفت هذا النهي بفعلين انجازيين قصديين هما:] فعل السجود، وفعل الاقتراب[، والمراد بذلك صلّ يا محمد واعبد الله تعالى فعلاً وإبلاغاً فإنه مقويك وناصرك على هذا العدو (أبي جهل)، وابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك .ففيها من التهكم و الاستحقار لشأن ابي جهل من خلال توظيفه (أداة الردع (كلا) مع (لا) الناهية الجازمة مع فعلي الامر)، فاجتمعت اساليب الطلب لتصيغ خطاباً تقريريا اثباتياً مباشراً يختزل ماهية الدعوة الاسلامية والتبليغ المحمدي.

المصادر :

القرآن الكريم

- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، (ت ٧٦٩هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،ج١،انتشارات ناصر خسرو،طهران،ط٧،(د.ت) ، ١/٤٧٥.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)،(د.ت) ، ١٧٩
- ينظر: (المرجع نفسه) ، ١٧٩.
-(المرجع نفسه)، ١٧٨.
- البيان في روائع القران دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د.ر تمام حسان، نشر وتوزيع وطباعة عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠ ، ١/٨ .
- ينظر: (المرجع نفسه) ١ / (٨ –٩).
- اللغة : جوزيف فندريس تر: عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة، ١٩٥٠، ٢٣١ .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٩ (سوق) ، ٢٢٨ .
- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ١٩٤، والبيان في روائع القران، ١/١١.
- اللغة العربية معناها ومبناها، ١٩٤.
- ينظر: (المرجع نفسه)، ١٩٢.
- البيان في روائع القرآن،١/١١.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي(ت٦٨٦هـ)،تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، ج١، دار الكتب العلمية بيروت/لبنان، ١٩٧٥، ٦.
- ينظر: الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، نشر وتوزيع وطباعة عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤الخلاصة النحوية، ٣٩.
- ينظر: (المرجع نفسه)،(٧٠– ٧٩).
-(المرجع نفسه)، ٨٠.

- ينظر: (المرجع نفسه)، ٨٠.
- الحجر،٤٣.
- ينظر: الخلاصة النحوية ، (٨٠- ٨٢).
- البنى النحوية، نوم جومسكي، تر:يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ١ط،١٩٨٧، ١٩.
- الفيل ، ١.
- الفاتحة، ٤.
- معاني النحو، ١/١٤٠.
- ينظر: الخلاصة النحوية، ٨٨.
- ينظر: (المرجع نفسه)، (٨٩- ٩٠)).
- الفاتحة، (٧-٦).
- ينظر: الخلاصة النحوية، (٩٠-١٠١).
- البقرة، ٣٧.
- التصريف الملوكي، ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ،تح: د. البدراوي زهران ، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر/مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠١، ٥٠ ، وينظر: شرح الملوكي في التصريف، صنعة ابن يعيش، تح: فخر الدين قباوة ، دار الاوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان،ط٢، ١٩٨٨، ١٣٥.
- ينظر: التفسير الكبير، الامام الفخر الرازي، ج(٣١-٣٢)، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامية، ط٣، ١٣١١هـ. ، ١٣/٣٢، ويراجع تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت/لبنان،ط١، ٢٠٠٢، ١٢١٤ ، وينظر : تفسير البيضاوي : ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، ط١ ١٩٩٠ ، ٤/ ٤٣٣ .
- ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ): تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وكامل محمد الخراط ، وماهر حبوش ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط١، ٢٠٠٦ ، ٢٢/ ٣٧٧ .
- ينظر: التفسير الكبير، ١٦/٣٢.

- ينظر: (المصدر نفسه)، ١٥/٣٢.
- المصدر نفسه، ١٧/٣٢.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ٢٤٩/١.
- التفسير الكبير، ١٨/٣٢.
- المصدر نفسه، ١٩/٣٢.
- ينظر: (المصدر نفسه)، ٣٢/(٢٠- ٢٢).
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ) ، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مر: سعيد الأفغاني، ج١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر طهران، ط١، ١٣٧٨هـ. ، ٢٤٩/١.
- ينظر: التفسير الكبير، ٢٤/٣٢.
- تفسير الكشاف، ١٢١٣، وينظر : تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٣٥ .
-(المصدر نفسه)، ١٢١٣.
- الكافية في النحو، ابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ)، شرح: الشيخ رضي الدين الاستراباذي،(ت ٦٨٦هـ) ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، (د.ت). ، ١٩٩/٢، ويراجع معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٩٨١، ٥٨.
- التفسير الكبير، ٢٥/٣٢.
- ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٢/ ٣٨٨ ، و التفسير الكبير: ٢/٣٢